ما ليس لك به علم اي بما لا تعلم انه صواب هو ام لا لان اللايق بامثالك من اولي القرب بناء امورهم على التحقيق وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف النون واثبت اليا بعد النون في الوصل دون الوقف ورش وابو عمرو وحذفها الباقون وقفا ووصلا اني اعظك اي بمواعظ كراهة ان تكون من الجاهلين فتسال كما تسال نوح وانما سمي نداه سوالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله واستنجازه في شان ولده قال نوح رب اني اعوذ بك امت اي من ان اسالك في شي من الاشيا ما ليس لي به علم تاديبا بادبك واتعاظا بوعظك والا تغفر لي اي الان ما فرط مني وفي المستقبل ما يقع مني وترحمني اي تستر زلاتي وتمحها وتكرمني اكن من الخاسرين اي الفريقين في الخسارة فان قيل هذا يدل على عدم عصمة الانبيا لوقوع هذه الزلة من نوح عليه السلام اجيب بان الزلة الصادرة من نوح انما هي كونه لم يستقص ما يدل على نفاق ابنه وكفره لان قومه كانوا على ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومومن يخفي ايمانه ومنافق لا يعلم حاله في نفس الامر وقد كان حكم المومنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واهل النفاق فبقي امرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مومنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للاب في حق الابن تحمله على حمل اعماله وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فاخطا في ذلك الاجتهاد كما وقع لادم عليه السلام في الاكل من الشجرة فلم يظهر منه الا الخطا في الاجتهاد ولم تصدر منه معصية فلجا الى ربه تعالى وخشع له ودعاه وساله المغفرة والرحمة كما قال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لان حسنات الابرار سيات المقربين قيل اي قال الله تعالى او ملك بامره يا نوح اهبط اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض المستوية بسلام اي بعظم وامن وسلامة منا وذلك ان الغرق لما كان عاما في جميع الارض فعندما خرج عليه السلام من السفينة علم انه ليس في الارض شي مما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخايف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة وان لا يكون الا مع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردفه بان وعده بالبركة بقوله تعالى وبركات عليك وهو عبارة عن الدوام والبقا والثبات لان الله تعالى صير نوحا ابا البشر لان جميع من بقي كانوا من نسله لان نوحا لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته فالخلق كلهم من نسله او انه لم يكن معه في السفينة الا من كان من نسله وذريته فعلى التقديرين فالخلق كلهم من

ذريته

كانوا مستوجبين لما نزل بهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا وعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم وقوله تعالى قوم هود عطف بيان لعاد وفايدته تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والايماء الى استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله في هذه السورة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى والى ثمود وهم سكان الحجر اي وارسلنا الى ثمود اخاهم فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى صالحا عطف بيان وتلك الاخوة كانت في النسب لا في الدين كما مر في هود ثم اخرج عليه السلام على تقدير سوال بقوله قال يا قوم اي من يعز علي ان يحصل لهم سو اعبدوا الله اي وحدوه وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره هو الحكم المستحق العبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته بقوله هو انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض او ان الانسان من المني وهو متولد من الدم متولد من الاغذية وهي اما حيوانية واما نباتية فاما الحيوانية فحالها كحال الانسان فوجب انتها الكل الى النبات والنبات تولد من الارض فثبت انه تعالى انشا الانسان من الارض وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى ان الواحد منهم يعيش ثلثماية سنة الى الف سنة وكذا كان قوم عاد وروي ان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم الاعمار الطويلة فسال نبي من انبيا زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فاوحي اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي واخذ معاوية في احيا الارض في اخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القايل

لَيس الفتى بفتى لا يستضا به ... ولا يكون له في الارض اثار

وقال مجاهد عمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم فاذا متم انتقلت الى غيركم ولما بين لهم عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم طريق الرجوع اليه بقوله فاستغفروه اي امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقدم مثل ذلك ان ربي قريب من خلقه بعلمه لكن من اقبل عليه من غير حاجة الى حركة مجيب لكل من ناداه لا كمعبوداتكم في الامرين ولما قرر لهم عليه السلام هذه الدلايل قالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي القول الذي جئت به لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد فانك كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقوي رجاونا فيك ان تنصرد ينا فكيف اظهرت العداوة ثم انهم اضافوا الى هذا التعجب الشديد فقالوا اتنهانا ان نعبد ما كان يعبد اباونا من الالهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرق التقليد ووجوب متابعة الاباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشي عجاب ثم قالوا وانا لفي شك مما تدعونا اليه

Copyright © King Saud University